# الحسد

# أسباب عذاب القبر

obeikandl.com

obeikandl.com

## الحسد

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال ﷻ :{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١٨].

سبحانه: من اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال ﷻ :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أمر نبيه محمداً ﷺ أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد، فقال ﷻ :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : بين لنا أن الحاسد عدو لنعم الله ﷻ، فروى الطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول ﷺ قال:«إن لنعم الله أعداء»، قيل: ومن أولئك يا رسول الله؟، قال ﷺ :«الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

### أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: الحسد، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

**أحبتي في الله:**

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

**الحقيقة الأولى:** إن الله ﷻ اختص لنفسه أشياء لا يجوز لنا نحن البشر أن نعترض على الله ﷻ فيها، ومن هذه الأشياء التي اختصها الله ﷻ لنفسه: صفة العطاء والمنع، فالله ﷻ يعطي لمن يشاء، ويمنع عمن يشاء، ولا مرد لحكمه، ولا معقب لقضائه.

ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فالله ﷻ هو المتصرف في الكون كله حسب إرادته ومشيئته، فالله ﷻ قد يعطي هذا، ويحرم هذا، وهو الذي يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، وهو الذي يفضل بعض الناس على بعض، ويرفع بعض الناس على بعض، وهو الحكيم في أفعاله، العليم بأسرار خلقه، فقال ﷻ : {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً* انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} [الإسراء: ٢٠، ٢١].

وقال ﷻ :{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢].

فلا ينبغي لمخلوق مهما كانت مكانته أن يعترض على قضاء الله ﷻ، أو يتسخط على قدره، فإن ذلك لا يغير من أمر الله ﷻ شيئاً؛

لأن الله ﷻ غالب على أمره، وهو فعال لما يريد، فقال ﷻ :{مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [فاطر: ٢].

الحقيقة الثانية: إن النجاة يوم القيامة جعلها الله ﷻ لمن طهَّر قلبه من دنس الحسد، وخلا فؤادُه من رجس الحقد، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

بل بشر الرسول ﷺ بالجنة لمن بات لا يحسد أحداً، فروى أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا يوماً جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: (يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة)، قال: فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من ماء وضوئه، قد علق نعليه في يده بشماله، فسلم.

فلم كان من الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما كان يوم الثالث، قال الرسول ﷺ مثل مقالته، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، فقال: إني لاحيت (خاصمت) أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيتَّ أن تؤويني إليك ثلاثاً حتى تمضي الثلاثة الأيام فعلت، قال: نعم.

قال أنس بن مالك ﷺ : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ يُحَدِّثُ أنه بات معه ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار، أو قال: انقلب على فراشه، ذكر الله ﷻ وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله بن عمرو غير أني لم أسمعه إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، كدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله: لم يكن بيني وبين والدي غضب، ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك

ثلاث مرات:«يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي على مسلم غشاً، ولا أحسد على خير أعطاه الله ﷻ إياه، قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : قلت: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.

ولذلك نجد أن الله ﷻ مدح أصحاب القلوب السليمة، والنفوس الصافية، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

الحقيقة الثالثة: إن الحسد والإيمان لا يجتمعان البتة في قلب الإنسان، فإذا وجد الحسد في القلب خلا وذهب منه الإيمان، وارتفع عن صاحبه، وإذا ارتفع الإيمان فقد خاب العبد وخسر، وإذا حل الإيمان بقلب صاحبه، ارتفع الحسد، فهما نقيضان لا يجتمعان أبداً؛ لأن الحاسد معترض على قضاء الله ﷻ وقدره، والاعتراض على القضاء والقدر مناف للإيمان.

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد والحاكم وابن حبان أن الرسول ﷺ قال:«شيئان لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان، والحسد».

بل الأعجب من هذا كله: أن النبي ﷺ بين أن الناس بخير، طالما أن الحسد بعيد عن قلوبهم، طالما أن الحقد والغل بعيد عن صدورهم، فإذا ما تحاسد الناس ذهب الخير، وحل مكانه البغض والشر، فروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال:«لا يزال الناس بخير، ما لم يتحاسدوا».

فالواجب على كل مسلم يريد الخير لنفسه ولغيره أن يبتعد عن الحسد، وإلا خسر الدنيا والآخرة.

**الحقيقة الرابعة:** ما هو الحسد؟ الحسد هو: تمني زوال نعمة الغير، فالحاسد لا يهدأ له بال إلا إذا زالت النعمة عن غيره، ولا يرضيه شيء غير زوال النعمة، وفي هذا يقول معاوية بن أبي سفيان ﷺ: " كل أحد أقدر على رضاه، إلا حاسداً لنعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوال هذه النعمة".

**الحقيقة الخامسة:** إن الحسد ينقسم إلى ثلاثة أنواع: اثنان مذمومان، وواحد محمود، فأما النوعان المذمومان فهما:

**النوع الأول:** أن يتمني الحاسد زوال نعمة الغير، ويكون هذا النوع بالقلب الذي سيطر عليه الشيطان، وبالنفس الأمارة بالسوء.

**النوع الثاني:** الحسد بالعين، وهو أشد الأنواع ضررا، وأخطرها على الإطلاق، وهذا النوع قد ثبت بالقرآن والسنة، فأما القرآن فقول الله ﷻ :{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧].

قال جمهور المفسرين: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال، وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم، فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه.

وقال ﷻ :{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً} [النساء: ٥٤].

ويقول الله ﷻ للرسول ﷺ :{وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم: ٥١].

يقول ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: يحسدونك

بأعينهم؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله ﷻ لك، وحماية إياك منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ، فروى أبو نعيم وحسن الحديث الشيخ الألباني أن الرسول ﷺ قال:«**العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر**».

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين**».

والفرق بين الحسد بالعين والحسد بالقلب ما يأتي:

١ - أن الحسد بالقلب يتأتى عن الحقد والبغض وتمني زوال النعمة، وأما الحسد بالعين فيكون سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

٢ - الحسد بالقلب يمكن أن يحدث في الأمر المتوقع قبل وقوعه، بينما العائن لا يعين إلا الموجود.

٣ - لا يقع الحسد بالقلب إلا من نفس خبيثة حاقدة، لكن الحسد بالعين قد يقع من رجل صالح، فروى أحمد والطبراني وابن ماجه وابن حبان أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ، وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَزَّارِ مِنْ الْجُحْفَةِ، اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ رَجُلاً أَبْيَضَ، حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيِّ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ في خدرها، فَلُبِطَ سَهْلٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله: هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ، والله مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفِيقُ، قَالَ ﷺ :«**هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟**».

قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ:«**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ**».

ثُمَّ قَالَ لَهُ:«اغْتَسِلْ لَهُ»، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ.

**أما الحسد المحمود:** فهو أن يتمنى المرء أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، وهذا ما يسمى بالغبطة، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله ﷻ مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله ﷻ الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها الناس**».

**إخوة الإسلام:**

إن الحسد يؤثر في العلاقات الإنسانية، والصلات الاجتماعية، فما وقعت أو حدثت جريمة، وما قتل بريء، وما دبرت مكيدة، وما بُيتت مؤامرة، وما حُرِم مُستحق من حقه، وما حورب رسول، وما هوجمت رسالة، إلا والحسد السبب الأصيل فيها، فتعالوا معي لنتعرف على أضرار الحسد.

**أولاً: عصيان إبليس أمر الله ﷻ بالسجود لآدم:** فالله ﷻ حينما خلق آدم عليه السلام، ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعاً ما عدا إبليس، فرفض السجود لآدم؛ لأنه حسده على نعم الله ﷻ عليه، وفي هذا يقول المولى ﷻ :{**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**} [الأعراف: ١١ - ١٣].

**ثانياً: أول جريمة قتل على وجه الأرض كانت بسبب الحسد:** فقال ﷻ : {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ**

مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

ثالثاً: الحسد سبب في عقوق الأبناء للآباء: وهذا واضح في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فقد وصف إخوة يوسف عليه السلام أباهم بالضلال، فقال ﷻ :{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [يوسف: ٧، ٨].

رابعاً: الحسد كان سبباً في حرمان يوسف عليه السلام من حنان أبيه: وذلك بإلقائه في البئر، وفي هذا يقول المولى ﷻ :{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ* قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف: ٩، ١٠].

خامساً: الحسد كان سبباً في فقد سيدنا يوسف عليه السلام حريته، وأن يصير عبداً: فقال ﷻ :{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً والله عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ١٩، ٢٠].

سادساً: الحسد كان سبباً في أن يتهم سيدنا يوسف عليه السلام بالسرقة: فقال ﷻ :{قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً والله أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف: ٧٧].

سابعاً: الحسد كان سبباً في عدم إيمان اليهود: فلقد بين القرآن أن اليهود رفضوا الإيمان بالرسول ﷺ بسبب الحسد، فقال ﷻ :{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم

مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٠٩].

ثامناً: الحسد كان سبباً في عدم إيمان كفار مكة: فلقد بين القرآن الكريم أن كفار مكة رفضوا أن يؤمنوا بالرسول ﷺ بسبب الحسد، فقال ﷻ: {وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢].

ومن أجل هذا كله: نجد أن الله ﷻ في آخر آيات القرآن الكريم، أمر نبيه محمداً ﷺ وأمته أن يتعوذوا من شر الحاسد، فقال ﷻ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

ولقد نهانا الرسول ﷺ عن الحسد، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

وروى أبو داود والبيهقي وابن ماجه أن الرسول ﷺ قال: «إِيَاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ».

ولقد تبرأ الرسول ﷺ من الحاسد، فروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّي ذو حَسَدٍ، ولا نميمة، ولا كهانة، ولا أنا منه»، ثم تلا الرسول ﷺ قول الله ﷻ: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

أيها المسلم: دع الله ﷻ يقسم رحمته على عباده، يخص من يشاء من منصب وثروة وجاه وعلم، فإن كان لك نصيب فيها فاحمد الله ﷻ، وإن لم يكن لك فيها نصيب فقل: قدر الله ﷻ وما شاء فعل.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يدفع الإنسان الحسد، أو بمعنى آخر أساليب الوقاية من الحسد.

أولاً: التعوذ بالله ﷻ من شر الحاسد: فقال ﷻ :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

مثال: المدرس الذي سأل تلاميذه كيف يستعيذون من كلب الحراسة؟ فقال أحدهم: أضربه حجراً، فقال الأستاذ: إذا يعاودك، أو يخطئه حجرك؟ فقال الآخر: أحمل في جلبابي أعداداً من الحجارة، كلما هم بالقرب مني ناولته واحداً تلو الآخر، فقال: لن تسلم منه، بل ستشتد عداوته لك، فقال الآخر النجيب الفاهم: أنادي علي صاحب الغنم والكلب، وأطلب منه أن يأذن لي بالمرور من عنده، فقال المدرس: ذلكم الرأي الصائب، ألا من أراد منكم أن يدفع عنه الشيطان وشره، فليستعذ بالله ﷻ من الشيطان، فالله ﷻ أقدر وأجدر بدفعه عنك.

ثانياً: تقوى الله ﷻ : فمن اتقى الله ﷻ تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال ﷻ :{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠].

وقال ﷻ :{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤]. ومن كان في معية الله ﷻ لا يضره شيء أبداً.

وقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ثالثاً: الصبر على الحاسد: فعلى المسلم أن يصبر على أذى الحسد، حيث

قال ﷻ :{وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [آل عمران: ١٢٠].

وقال ﷻ :{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله ﷻ، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوة للمحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر فبغيه سهام يرميها من نفسه، ولو رأي المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله.

وقد قال المولى ﷻ :{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج: ٦٠].

فإذا كان الله ﷻ قد ضمن له النصر، مع أنه قد استوفى حقه أولاً، فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه، بل بُغِي عليه وهو صابر، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة الله ﷻ أنه لو بغى جبل على جبل، جعل الباغي منهما دكاً

رابعاً: التوكل على الله ﷻ : فالتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فقال ﷻ : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٣].

فالتوكل على الله ﷻ من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله ﷻ حسبه أي كافية، ومن كان الله ﷻ كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره.

خامساً: الإقبال على الله ﷻ والإخلاص له: روى البخاري أنَّ الله ﷻ قَالَ:«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ

مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

سادساً: التوبة إلى الله من الذنوب: فعلى الإنسان أن يسارع بالتوبة إلى الله ﷻ، فالإنسان منا عندما يبتلى بأي شيء، فإنما غالباً يكون بسبب ارتكبه هو، فقال ﷻ :{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

وقال الله ﷻ لخير الخلق وهم أصحاب الرسول ﷺ :{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره.

وفي الدعاء المشهور:«اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب.

ولقي بعض السلف رجلاً فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله ﷻ، وتضرع إليه، وتاب وأناب إلى ربه، ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله ﷻ من الذنب الذي سلطك به عليَّ.

سابعاً: الصدقة: فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، فقال ﷻ :{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراًّ وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

ثامناً: الإحسان إلى الحاسد: وهذا من أصعب الأسباب على النفس

وأشقها عليها، ولا يُوفَّق له إلا من عظم حظه من الله ﷻ، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً، ازددت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة، فقال ﷻ :{وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [فصلت: ٣٤ - ٣٦].

وقال ﷻ :{أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [القصص: ٥٤].

وتأمل حال النبي ﷺ الذي روي عنه أنه ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول:«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وانظر كيف جمع الرسول ﷺ في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه:

**الأول**: عفوه عنهم. **الثاني**: استغفاره لهم.

**الثالث**: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

**الرابع**: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: اغفر لقومي.

وهذا ما فعله سيدنا يوسف ﷺ مع إخوته، فقال ﷻ :{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٨٨ - ٩٢].

تاسعاً: أن يعتقد المسلم أن الضر والنفع بيد الله ﷻ : فقال ﷻ :{وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ

يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس: ١٠٧].

وروى الترمذي أن الرسول ﷺ قال لابن عباس رضي الله عنهما :«وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك».

عاشراً: أن يحفظ الإنسان الله ﷻ : فروى الترمذي أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنه :«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك».

فمن حفظ الله ﷻ، حفظه الله ﷻ، ووجده أمامه، أينما توجه، ومن كان الله ﷻ حافظه وأمامه، فممن يخاف، ولمن يحذر.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أُعدت للحاسد:

**العقوبة الأولى: براءة الرسول ﷺ من الحاسد:**

روى الطبراني أن الرسول ﷺ قال:«ليس مني ذو حسد، ولا نميمة، ولا كهانة، ولا أنا منه»، ثم تلا الرسول ﷺ قول الله ﷻ :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

**العقوبة الثانية: أكل الحسنات:**

روى أبو داود والبيهقي وابن ماجه أن الرسول ﷺ قال:«إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب».

**العقوبة الثالثة: عدم استجابة الدعاء:**

فروي أن الرسول ﷺ قال:« (ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين».

وقال بعض الحكماء: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله ﷻ إلا بعداً ومقتاً.

* * *